قليل الكلام كثير الاتهام لنفسه ولو جاء بالمرقص والمضطرب »

اقول وقد اشار الشاعر العربي الى هذه النصيحة الاخيرة من نصائح الكاتب الفرنساوي واصفاً رجلاً ذا علم وتواضع حيث قال

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن يأتيك وهو بشعره مشغول

ادوار مرقص

الجناية والتحقيق

اطلعنا على القصة التالية في مجلة ببرمن فعربناها لما فيها من الارشاد لقضاة التحقيق ورجال البوليس والاطباء عدا ما فيها من فكاهة الحديث. والقصة عن لسان طبيب اسمه جرڤس

قال كنت سائراً مع الدكتور ثرندَيك في حي ضيق الشوارع من احياء لندن واذا نحن بامرأة تسير مسرعة وعليها دلائل الخوف ووراءها شاب حسن البزة وعلى وجهه امارات الاضطراب. وحالما وقع نظرنا عليه عرف الدكتور ثرنديك وقال لهُ دعيت الآن لاحقق حادثة قتل او انتحار اتريد ان تراها معي يامولاي فان هذه اول حادثة حقيقية اراني خائفاً قلقاً

ولما قال ذلك عادت المرأة اليه وامسكت بذراعه وهزتهُ وهي تقول اسرع اسرع وكان وجهها ابيض شاحباً وقد تصبب عرقاً وشفتاها ترتجفان ونظرت الينا كأنها ولم ترَ ما يخيفهُ

فقال الدكتور ثرنديك للشاب ليك ياهارت. ثم اومأ اليَّ لاتبعهُ فتبعنا المرأة وهي تعدو امامنا

والتفت ثرنديك الى الشاب وقال لهُ هل جعلت اقامتك هنا وهل اخذت في الطب

فقال كلاَّ يامولاي وما انا الا مساعد ورئيسي طبيب القسم هنا ولكنهُ غائب الآن. وانا شاكر لك لطيفك معي

فقال ثرنديك اني آتٍ لارى ثمرة تعليمي فيك

واوصلتنا المرأة الى حارة بين الشوارع فرأينا جمهوراً من الناس وقوفاً امام باب فلما رأونا حادوا من طريقنا ودخلت المرأة امامنا مسرعة وصعدت على سلم الى ان وصلت الى العلالي حيث يبتدئ سلم آخر ولما قربت الى هناك جعلت تصعد همساً ثم اشارت بيدها الى باب وقالت تجدونها هنا. وارتقت على درجة السلم الثاني عياء

فصعدنا وراءها وفتحتُ الباب والتفت لارى ثرنديك فوجدتهُ صاعداً متمهلاً وهو يلتفت

بينة ويسرة يتمن في كل مايراه . ودخلنا الغرفة وكان لها شباك واحد وكان لا يزال مغلقاً فلم نر شيئاً لقلة النور . والغرفة صغيرة حقيرة ولكنها مرتبة وفيها سرير على ترتيبه فيه فتاة نائمة لا يبين فيها شيء غير عادي سوى لطخة كبيرة في الوسادة التي تحت رأسها

ولما دخل الدكتور هارت مشى الهوينا الى ان دنا من السرير اما الدكتور ثرنديك فاسرع الى الشباك وفتحه فسطع النور في الغرفة . ورأى الدكتور هارت ما ادهشه فرجع الى الوراء وهو يقول اعوذ بالله ماهذا ! . فان النور الذي دخل من الشباك انعكس عن وجه صبيح وجه فتاة في نحو الخامسة والعشرين من عمرها جاءها الموت فلم ينزع جمالها بل اضاف اليه السكينة والوقار . شفتان تكادان تتلامسان وعينان ذبلتا في ظل رموشهما وشعر اسود غزير يحيط بوجه ابيض نضير

ثم ازيح الستار قليلاً فاذا تحت ذلك الوجه البدري جرح غائر يكاد يقطع عنقها بلورية فنظر ثرنديك اليها نظر الخبير والشفقة وقال اليد يد وحش كاسر ولكن قضي الامر سريعاً فلم تتألم

اما الدكتور هارت فاحمر وجهه غيظاً وقبض راحتيه وهزهما وهو يقول اين هذا اللعين لابد من قتله لابد من شنقه . قال ذلك والدموع ملء عينيه

فقال له ثرنديك هذا ما اتينا لاجله يا هارت الآن فاكتب ماتراه فانصاع لامر استاذه واخرج دفتره من جيبه وجعل يبحث ويكتب مايراه وطلب مني ثرنديك أن اصور الغرفة واصف مافيها فاخذت قلماً وجعلت ارسم واكتب وكنت التفت اليه من وقت الى آخر لارى ماذا يفعل فرأيته اخرج سكيناً من جيبه وتحف بها شيئاً وجده على الوسادة فدنوت منه لارى ماتحف فقال لي اترى ماهذا فنظرت واذا بشيء كالرمل الفضي فقلت أليس هذا رملاً فضياً فما اتى به الى هنا

فقال سنرى ما هو في ما بعد ثم اخرج علبة من جيبه فيها بعض مواد الفحص كشمع الختم والانابيب الشعرية وما اشبه واخرج منها غلافاً صغيراً من الورق وضع الرمل فيه واقفله وجعل يكتب عليه واذا بالدكتور هارت يقول اعوذ بالله اعوذ بالله امرأة قتلتها انظروا انظروا فنظرنا واذا في يسارها خصلة من شعر اشقر

فوضع ثرنديك الغلاف في جيبه حالاً واخفى فوق اليد التي فيها خصلة الشعر فوجدها مطبوقة ولكن انامله غير واصلة الى كفها ولما حاول فتحها وجدها يابسة كقطعة من الخشب فاخرج بلورة من جيبه مما يكبر المنظورات وجعل يفحص الشعر من اوله الى آخره وقال هنا

امور اخرى غير ما يظهر لاول وهلة ماذا تقول يا هارت واعطاهُ البلورة فاخذها وقبل ان نظر فيها فُتح الباب ودخل ثلاثة رجال مفتش البوليس وملازم من رجال البوليس السري وطبيب القسم

فقال طبيب القسم طارت اظنهما من اصدقائك مشيراً اليَّ والى الدكتور ثرنديك فاخبرهُ ثرنديك بواقعة الحال وكيف دعانا الدكتور هارت لفحص الطبي معهُ

فالتفت الينا وقال ان هذا الامر لا يعنيني بل يعني مفتش البوليس ولم يكن مساعدي مخوّلاً بان يدعوكما معهُ . ثم خاطب هارت قائلاً لا داعي للانتظار هنا . وكان ثرنديك قد وضع ترموتراً تحت جسم المرأة فاخرجهُ ونظر الى درجة الحرارة . ولم يشأ مفتش البوليس ان يخرجنا من الغرفة كما اشار طبيب القسم بل حسب لوجودنا فائدة والتفت الى ثرنديك لما رأى الترمومتر في يدهِ وقال لهُ منذ كم ساعة ماتت على ما تظن يا دكتور

فقال ثرنديك منذ نحو عشر ساعات . فاخرج كلٌّ من المفتش والملازم ساعتهُ ونظر اليها وقال المفتش اذاً حدث ذلك الساعة الثانية بعد نصف الليل . ورأى طبيب القسم اليد التي فيها خصلة الشعر وقال للمفتش انظر انظر فالتفت المفتش وقال امرأ امرأة . لا بدَّ من انها امرأة قوية فقد هان الامر عليك يا دكتور . وقال الملازم وهذا يفسر وضع الصندوق قرب رأسها فان المرأة التي قتلها قصيرة القامة فلم يتيسر لها الوصول الى رقبتها بسهولة

فقال المفتش ولكنها جبّارة فانها كادت تقطع العنق كلها ثم انحنى وجعل يفحص الجرح والتفت الى الوسادة ووضع اصابعهُ عليها وجعل يفركها ثم قال هذا رمل هذا رمل ففي فكيف وصل الى هنا

وبادر طبيب القسم والملازم الى حيث المفتش ليتحققا الاكتشاف الذي اكتشفهُ وجعلوا يتذاكرون في امره وقال المفتش لثرنديك هل رأيت هذا الرمل فقال نعم رأيتهُ ولا اعلم كيف اتى الى هنا . فقال المفتش وانا ايضاً لا اعلم ثم جعل يفتش في رف الغرفة والمغسلة وقال عرفنا انظروا هذا قرن من الصابون الرملي وفي طست الغسل ماء مخلوط بالدم وفيهِ كثير من الرمل فالقاتلة غسلت يديها وسكبتها من الدم بهذا الصابون ثم وقفت فوق رأس المقتولة فوقع الرمل من يديها على الوسادة فالامر بسيط جدًّا

فقال ثرنديك نعم بسيط جدًّا فكيف ترتب الحوادث بعضها مع بعض . فقال الملازم يظهر لي ان هذه المرأة قرأت طويلاً قبلما نامت فهنا كتاب على المائدة بجانب السرير وعليها شمعدان فيهِ شمعة احترقت كلها ولم يبقَ منها الاَّ طرف قليلها . ثم جاءت القاتلة فاشعلت النار

وادنت الصندوق من السرير وصعدت عليهِ وذبحتها . واستيقظت الفتاة حينئذٍ وقبضت على شعر القاتلة ولكن روحها كانت قد بلغت التراقي . وغسلت القاتلة يديها وسكينها واصلحت السرير . ولكن كيف دخلت ولم يدر بها احد وكيف خرجت والى اين مضت هذه امور يجب ان نكتشفها

وقال طبيب القسم أليس الاحسن ان ندعو صاحبة البيت ونسألها بعض المسائل قال ذلك ملتفتاً الى المفتش والى ترنديك . اما ترنديك ففتح الباب وجعل يدير المفتاح في القفل فيفتحهُ ويقفلهُ ثم قال هوذا صاحبة البيت امام الباب

فاشار اليها المفتش فدخلت ودخل رجل وراءها

تامل المفتش دفترهُ يبدو وقال اخبرينا يا مسز غلدستين كل ما تعرفينهُ عن هذه الابنة وما هو اسمها

فسحت عينيها وقالت بصوت متقطع يا مسكينة اسمها منة ألدر وهي المانية اتت من برمن منذ نحو سنتين وليس لها احد من الاقارب هنا وكانت تخدم على المائدة في مطعم فنتشرش كانت على غاية الرصانة والهدو

— اي ساعة عرفتِ بما اصابها

— نحو الساعة الحادية عشرة فاني ظننت انها خرجت على جاري عادتها ولكن زوجي انتبه الى ان شيأ كما كان لا يزال مغلقاً فصعدتُ وقرعت الباب ولما لم اسمع مجيباً فتحتهُ ودخلت فرأيت — وهنا غلبها الحزن فجعلت تبكي وتنتحب

— اذا كان بابها غير مقفل فهل من عادتها ان تتركهُ كذلك

— اظن نعم وكانت تبقي المفتاح من الداخل دائماً

— هل كان باب الدار مقفلاً هذا الصباح

— كان مغلقاً ولا نقفلهُ لان بعض النازلين عندنا يعودون متأخرين

— اخبرينا هل لها احد يتصدها بسوء او احد ناقم عليها

— كلاَّ كلاَّ ولماذا ينقمون عليها فانها لم تخاصم مع احد وخصامها مع مريم طفيف لا يعبأ به

فقال المفتش مَن هي مريم هذه

— فقال الرجل الذي دخل مع مسز غلدستين وهو زوجها لا شيءَ لا شيءَ ولم يكن ذلك خصاماً

فقال المفتش — لعلهُ سوءُ فهم او عتاب

فقال المترغلدستين نعم بخفاوة وقلة عقل من اجل شاب فغارت مريم منها وهذا كل ما جرى

فقال المفتش نعم فهمت شيئاً من الغيرة وهذا امر اعتيادي

ولما قال ذلك دخلت فتاة قصيرة القامة مجدولة العضل شعرها منفوش شديد الشقرة . فلما وقع نظرنا عليها وقفنا كلنا مبهوتين ودار المفتش ووضع في جيبهِ ورقة ملفوفة وقالت مسز غلدستين هذه ابنتي مريم ثم التفتت اليها وقالت لها هؤلاء الاصحاب ورجال البوليس

فنظرت الينا واحداً بعد الآخر ثم قالت هل رأيتموها ما اظنها ماتت . قالت ذلك بصوت الحزن الشديد كأنها امرأة فقدت ولدها وهي تعزي نفسها بانهُ لا يزال حيًّا . فاثر كلامها فيَّ تأثيراً شديداً والتفت الى ترنديك فلم ارهُ امامي وتطلعت الى الدار فرأيتهُ يفتش في رف صغير وراء الباب الذي يفتح الى الشارع فنزلت اليهِ واذا هو يلف ثلاث قطع من الشمع باوراق رقيقة وقال لي انهم سيقبضون على هذه الفتاة المسكينة ولا اريد ان ارى ذلك فهلم بنا . ثم فتح الباب ووقف لحظة يمخن المزلاج ونظرت الى الرف الذي وراء الباب فوجدت عليهِ شمعدانين من الخزف الابيض

ولما خرجنا قال لي ارأيت المفتش وضع خصلة الشعر في جيبهِ

فقلت نعم وكان الاولى بهِ ان يتركها في مكانها . فقال اصبت وهكذا تفسد التحقيقات الجنائية بتسرع المحققين . وعملهُ هنا لا يتقدم ولا يتأخر في هذه الحادثة ولكن كان من المحتمل ان يفسد التحقيق كلهُ

فقلت لهُ هل مرادك ان تتعرض للشهادة

فقال ان ذلك يتوقف على مقتضى الحال فقد جمعت بعض الادلة ولكنني لا اعلم الآن مقدار قيمتها ولا اعلم من انتبه لما المفتش والملازم ولا بدَّ لي من بذل الجهد في اظهار الحقيقة لان المسألة تتعلق بالامن العام وكلنا مسؤول عنهُ

ثم افترقنا وذهب كلٌّ منا الى عملهِ الخاص بهِ ولم نجتمع ثانية الاَّ في المساء وقت العشاء فرأيتهُ جالساً يفكر والى جانبهِ بيكرسكوب وشيئاً من الرمل الذي وجدناهُ على الوسادة وكان معتنيًا بعمل طوابع من الشمع فقال لي هذا الشمع اصلح من الجبس لعمل الطوابع الرقيقة وهذا الرمل جميل النظر ما اجملهُ بالبيكرسكوب فنظرت واذا هو مزيج من حبوب السكا وقطع الاصداف والمرجان فقلت هذه قطع من الاصداف والمرجان . فقال نعم ولا شيء فيهِ من الرمل الفضي فقلت كلاَّ ولكن ما هو ومن اين اتى . فقال هذا نبأٌ من قاع البحر . من قاع بحر الروم من قاع البحر المتوسط . فقلت وبماذا جئتنا . فقال ساعرف ذلك قريباً

ثم جعل يطبع السمنت بقطع الشمع كأنها طوابع وهي القطع التي رأيته لفها ووضعها في جيبه . ونظر الى الطوابع بالميكروسكوب ثم لفها كلها ووضعها جانباً . وسمعنا حينئذٍ واحداً يقرع الباب فدخل واعطى ثرنديك ورقة وقال ان المستر غلدستين عوَّقني كثيراً قبلما اعطاني هذه الورقة فلا تظن اني تأخرت في الطريق . فاخذ ثرنديك الورقة منهُ وقرأها وتمعن فيها ثم قام الى رف الكتب واختار منهُ كتاباً وفتحهُ وجعل ينظر فيهِ فنظرت واذا هو بلغتين مختلفتين فقال لي انهُ التوراة بالروسية والعبرانية . ثم قرع الباب ودخل حامل البريد فقام اليهِ فوجد بين مكاتيبهِ مكتوباً رسمياً ازرق الغلاف فقال هذا جواب سؤالك ثم فضهُ واذا قاضي التحقيق يطلب منهُ بهِ ان يحضر فتح الجثة غداً الساعة الرابعة بعد الظهر لان الدكتور دافدصن طبيب القسم عزم على فتحها حينئذٍ . فقال سنذهب ولو امتاء دافدصن من ذلك وانا ذاهب الآن الى بلتن لكي يصور لي صفحتين من هذه التوراة بالفوتوغرافيا (وبلتن هذا مساعد لهُ)

ثم تغدينا في اليوم التالي وكنت اراهُ مشغول البال كثير التفكير فقلت لهُ هل جمعت ادلة كافية نقدمها الى قاضي التحقيق . فقال ادلتي كثيرة ولكن يعوزها شيء يربطها بعضها ببعض فاذا امكنني ان اربطها معاً قبل الوصول الى المحكمة صارت مقنعة . ثم دخل بلتن ومعهُ صورتان فوتوغرافيتان في صندوق وهما صورتا صفحتين من التوراة ولكن الحروف فيهما بيضاء على ارض سوداء وقد الصقتا على كرتون كما تلصق الصور الفوتوغرافية عادةً فاراهما ثرنديك بكل تأنٍ ماسكاً اياهما من حرفيهما وقال انا سنقتدي بعلاء الدين ثم ردهما الى الصندوق وشكر بلتن . وقمنا وركبنا القطار لنذهب الى المكان الذي تفتح فيهِ الجثة ووصلنا الى شارع قديم البيوت والمخازن فجعل ينظر في اسماء المخازن والبيوت الى ان وصل الى بيت فوقف امام بابهِ ورأى امرأة فسألها عن شيء وسمعتها تقول لهُ الساعة السادسة ونصف . ثم واصلنا السير الى ان وصلنا الى مكان فتح الجثة فوجدنا الدكتور دافدصن طبيب القسم قد اتمَّ عملهُ وعزم على الخروج فقال لنا اني متأسف لانني لم استطع ان انتظركما ولكن فتح الجثة انما هو عمل رسمي لا فائدة منهُ في حادثة مثل هذه ومع ذلك لا تزال الجثة مفتوحة وهارت هنا يريكما اياها وودَّعنا ومضى

ولما دخلنا رأينا الدكتور هارت جالساً يكتب تقريرهُ فقام وجعل يعتذر عن الدكتور دافدصن فقال لهُ ثرنديك لا داعي للاعتذار لانك غير مسئول عن آدابهِ ولا اريد ان اشغلك وغاية ما اريدهُ ان اتحقق امراً او امرين . فعاد الدكتور هارت الى كتابة تقريرهِ

ودنا ثرنديك من الجثة وجعل يقلب نظره كأنه يبحث عن الرضوض ونحوها ثم انحنى فوق الجرح وجعل يبحث فيه ورأيته اخرج اسفنجة وبلورة من جيبه ومسح جزءا من عظم الرقبة ونظر اليه بالبلورة ثم اخرج كماشة واستخرج شيئاً وامعن نظره فيه ولفه بورقة ووضعه في جيبه وقال لقد اكتفيت وصاغ الدكتور هارث وقال له سنلتقي غداً عند قاضي التحقيق . وخرجنا وجعلنا نمشي في الشوارع القريبة كمن يقتل الوقت الى ان دقت الساعة السادسة فسار بي في شارع متعرج الى ان وصلنا الى امام دكان بائع تبغ فوقف امام الباب الملاصق له واخرج من جيبه الصندوق الذي فيه الصورتان الفوتوغرافيتان وجعل ينظر فيهما وهو واقف امام الباب وظل كذلك الى أن جاء رجل قصير القامة محدودب الوجه تدل سحنته على انه من غرباء اليهود فقال ثرنديك عفوك فاني صاكن هنا يريد من ثرنديك ان ينتحى له ليفتح الباب ويدخل

فاعتذر ثرنديك اليه وتنحى من امام الباب ثم قال له افلتك تعرف العبرانية

فقال الرجل لماذا تسأل هذا السؤال

فقال لان معي كتابين واحدة باليونانية وواحدة بالعبرانية ولا اعلم ايتهما باليونانية وايتهما بالعبرانية . واعطاه الصورتين فسكها وقال له هذه بالعبرانية وهذه بالروسية لا باليونانية . فاخذهما منه وشكره على ذلك واعاد الصورتين الى صندوقهما وسرنا في طريقنا وهو يقول انتهى شغلنا ولم يبق الا عملية صغيرة اعملها في البيت وقد وقعت على دليل جديد غفل عنه الفحص وليس من عادتي ان انتقد اعمال رصفائي ولكن هذا الرجل اظهر من قلة الادب ما لا يعذر عليه

وكان قاضي التحقيق قد عين الساعة العاشرة من اليوم التالي للحضور الى المحكمة ولكننا اضطررنا ان نتأخر عن ذلك ربع ساعة لان ثرنديك مر في طريقه على دار البوليس السري وقابل رئيسه فلما وصلنا الى المحكمة رأينا المحلفين[1] مجتمعين وامامهم صف من الكراسي للشهود وهناك المحامي عن المتهمة ورأيت الرجل الذي طلب منه ثرنديك التمييز بين العبرانية والروسية وملر مدير البوليس السري وكان قد سبقنا . وكان القاضي يسأل ممرضة خادمتين فشرحت له الامور التي شرحتها لنا ثم جيء بفتاة اسمها كاتي سلفر فلما وقفت مريم خادمتين بعين الغضب

(١) المحلفون عند الانكليز جماعة من الاعيان مختارون للقضاء في الدعاوي الجنائية والمدنية ويشرح لهم القاضي القوانين المتعلقة بها ثم يتداولون ويحكمون حسبما يتراءى لهم . وسموا محلفين (جوري) لانهم يحلفون على ان يحكموا بالعدل

وكانت مريم واقفة في قفص المجرمين وشعرها منفوش على ظهرها ووجهها اصفر كوجوه الموتى وهي تنظر مدهوشة كأنها في حلم

فسألها القاضي عما تعرفهُ عن القتيلة فقالت انها تعرفت بها منذ ثلاث سنوات حين اتت من المانيا وان ليس لها اقارب في بلاد الانكليز ثم صار لها بعض الاصدقاء لانها كانت انيسة المحضر

فقال القاضي وهل لها احد يبغضها

فقالت نعم فان مريم خلد سثين تبغضها

فقال وكيف عرفت ذلك

فقالت لانها تخاصمت معها من اجل شاب اسمهُ موسى كوهن فانهُ كان اولاً خاطباً مريم ولما رأى منة أكثر احبها وترك خطيبتهُ فاغتاظت مريم ولامت منة لانها اخذت خطيبها منها وكان لمنة خطيب اسمهُ بتروفسكي فتركتهُ وقالت لمريم خذيهِ بدلاً من خطيبك

فقال لها وماذا قالت مريم

فقالت ان مريم لم تحبها ذلك لان موسى كوهن اجمل من بتروفسكي ولم تكن تحب بتروفسكي وحملت اباها يخرجهُ من بيتهم وعلى اثر ذلك حدث ما حدث

فقال القاضي ماذا تعنين

فقالت ان مريم حقدت على منة وقالت انها ستقتلها

فقال ومتى كان ذلك . قالت قبل الحادثة بيوم

فقال ومن سمعها تقول ذلك غيرك

قالت سمعتها واحدة ساكنة معنا اسمها ادث بَرِيَنْت وسمعها بتروفسكي نفسهُ

فقال القاضي اظنك قلت الآن ان بتروفسكي خرج من البيت

فقالت نعم ولكنهُ ترك صندوقهُ في غرفته واتى حينئذٍ ليأخذهُ

فقال وهل اخذهُ

قالت نعم اخذهُ وكانت مريم قد اخذت اوقيتهُ وحملتها لخالتها وقد خرجتُ انا وادث ومريم حينئذٍ وتركناهُ في الدار ولما عدنا وجدنا انهُ اخذ صندوقهُ وذهب

ثم امسك القاضي سكيناً كبيرة بيده وقال لها هل رأيت هذه السكين قبلاً

فقالت نعم رأيتها وهي سكين مريم التي تقص بها الرسوم لمحل شغلهِ تزويق الجدران

ثم نودي على بولس بتروفسكي وهو الذي ميَّز لنا الخط العبراني من الرومي فاقسم اولاً ثم يمهد مؤيداً كل ما ذكرتهُ كاتي سلفر . وجاءت بعدهُ ادث بريت فشهدت مثلهُ

فقال القاضي لا بدَّ لنا قبل سماع شهادة الاطباء من سماع شهادة البوليس فما تقول يا حضرة الملازم الفرد باتس . فوقف الملازم وقال دعاني الكونستابل سموندس الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والاربعين فوصلت الى البيت الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والخمسين مع المفتش هريس وطبيب القسم ولما وصلت وجدت الدكتور هارت والدكتور ترنديك والدكتور جرفس في الغرفة ووجدت المقتولة ممدة ادارٍ في سريرها مذبوحة وكانت ميتة باردة ولا يظهر انها جاهدت قبل موتها ولا اختل نظام سريرها . وكان قرب السرير مائدة عليها كتاب وشمعدان لا شمع فيه كأنَّ شمعته أُشعلت كلها لان طرف الفتيلة لا يزال في الشمعدان . وهناك صندوق وضع الى جانب السرير قرب رأس القتيلة . والظاهر ان القاتل صعد على الصندوق لكي يتمكن من ذبحها لان المائدة تمنعهُ من الوصول الى رأسها وازاحتها قد توقفها . وأستنتجُ من وجود الصندوق ان القاتل قصير القامة

فقال القاضي أكان هناك شيءٌ يدل على القاتل

— نعم خصلة شعر أشقر في يد المقتولة

ولما قال ذلك صرخت مريم غلدستين صرخة مزعجة وأُغمي على اثرها . واخرج الملازم غلافين من جيبهِ وقال ان الشعر الذي في الغلاف الاول هو الذي وجدناهُ في يد القتيلة والشعر الذي في الغلاف الثاني شعر مريم غلدستين

فنهض محامي المتهمة وقال من اين وصلت الى شعر المتهمة

فقال الملازم من كيس وجدتهُ معلقاً في غرفتها

فقال المحامي اني اعترض على ذلك واقول انهُ لا دليل على ان الشعر الذي في كيس في غرفتها هو شعرها

فقال القاضي للمحامي اني سانظر في اعتراضك والآن دعنا نسمع بقية تقرير البوليس

فقال الملازم لقد فحصت الشعرين وقابلت بينهما فظهر لي انهما من شعر واحد . ورأيت ايضاً قليلاً من الرمل الفضي على الوسادة

فقال القاضي رمل فضي هذا من الغرائب كيف وصل الرمل الفضي الى الوسادة

فقال الملازم لا غرابة في ذلك فقد وجدنا هذا الرمل ايضاً في طست الغسل فان القاتلة غسلت يديها من الدم ومن المحتمل انها غسلت السكين ايضاً ووجدنا على المغسلة صابوناً من الصابون الذي فيهِ رمل والظاهر ان القاتلة وقفت امام القتيلة والصابون على يديها فوقع الرمل منهما على الوسادة

فقال القاضي هذا تعليل غريب ولكنه وجيه وحنا المحلفون رؤوسهم كأنهم رأوا التعليل عين الصواب

ثم قال الملازم ولدى التفتيش في غرفة مريم غلدستين وجد فيها سكين مما يستعمل لقص الرسوم ولكنها اكبر من المعتاد وكان عليها لطخ دم ولما سئلت عنها قالت انها جرحت اصبعها بالسكين فتلطخ بالدم واعترفت ان السكين لها

فوقف المحامي وقال هل فحصتم اصبع المتهمة . فقال الملازم لا اظن ولا اعلم . فكتب المحامي جوابهُ . ثم قال هل وجدتم شيئاً من الرمل الفضي في طست الغسل . فاحمرَّ وجه الملازم وقال اني لم افتش في الطست

ثم جلس المحامي وجعل يكتب ما قالهُ الملازم وظهر كأن المحلفين لم يرضوا عن هذه المسائل

وقال القاضي الآن نسمع شهادات الاطباء ونبتدئ بشهادة طبيب القسم فنهض الدكتور دافدصن وبعد ان اقسم اليمين المعتادة قال لهُ القاضي لقد رأيت المقتولة بعد قتلها وفحصت الجثة اليس الامر كذلك

فاجاب نعم وجدت جثتها في سريرها وسريرها على ترتيبه ويظهر انها كانت قد ماتت منذ نحو عشر ساعات واعضاؤها متيبسة ولكن جزءاً غير متيبس وسبب موتها جرح غائر في عنقها قطع العنق الى السلسلة وهو جرح سكين ماضية حزَّت العنق في حزَّة واحدة ولا يمكن ان تكون القتيلة ذبحت نفسها وقد وقف القاتل على صندوق وضع الى جانب السرير والمرجح ان القاتل قصير القامة شديد العضل ايمن لان الحز من اليمين الى اليسار والظاهر ان الموت وقع حالاً والقتيلة لم تجاهد ووجدنا في يسراها خصلة شعر امرأة وقد قابلت بينها وبين شعر المتهمة وارى انهما من شعر واحد

القاضي — هل رأيت السكين التي للمتهمة

الطبيب — نعم ورأيت عليها لطخ دم فحصتهُ فوجدتهُ دم حيوان من الحيوانات اللبونة والمرجح انهُ دم انسان ولكن لا يمكنني الجزم في ذلك

القاضي — اكان يمكن ان يحدث الجرح بهذه السكين

الطبيب — نعم مع ان السكين صغيرة بالنسبة الى الجرح ولكن يمكن احداث هذا الجرح بها والتفت القاضي الى المحامي وقال لهُ اتريد ان تسأل الطبيب شيئاً

فنظر المحامي في اوراقهِ ثم قال نعم لقد سمعنا ان على السكين لطخ دم وقيل قبلاً انهُ وجد دم في طست الغسل وان القاتل غسل يديهِ ومكينهُ في الطست فكيف بتيت لطخ الدم على السكين

فقال الطبيب يظهر ان السكين لم تغسل

المحامي — قلت ان المقتولة لم تجاهد وان الموت وافاها حالاً ثم قلت انها قبضت على شعر القاتلة وانتزعته فكيف توفق بين الامرين

الطبيب — يظهر ان المقتولة قبضت على الشعر في اللحظة الاخيرة من حياتها وهي تسلم الروح . وعلى كلٍّ فالشعر وجد في يدها

المحامي — هل من الممكن الحكم على شعر انهُ شعر فلان او شعر فلان

الطبيب — كلا ولكن هذا الشعر خصوصي في لونهِ فيسهل تمييزهُ

وحينئذٍ جلس المحامي وقال القاضي الآن دور الدكتور ثرنديك وهو اول من رأى المقتولة وفحصها

فوقف ثرنديك واتم اليمين وسألهُ القاضي عن عمله فاجاب انهُ استاذ الطب الشرعي في مدرسة سنت مرغريت . وحينئذٍ طلب المحلفون منهُ ان يبدي رأيهُ في الشعر والسكين فقال لهُ القاضي هل ترى ان هذا الشعر الذي في الغلاف الاول هو شعر المتهمة . فاجاب لا شبهة عندي انهُ شعرها

القاضي — انظر هذه السكين اتظن انهُ كان يمكن ذبح المقتولة بها

فاخذ السكين وتفحصها ثم ردها الى القاضي وقال نعم كان يمكن ذبحها بها ولكني متأكد انها لم تذبح بها

فقال القاضي ما هي ادلتك على ذلك

اجاب ارى الاصلح ان اسرد لكم حوادث الواقعة كما وقعت على ما يظهر لي

فاشار اليهِ القاضي ليتكلم فقال لاداعي لاضيع وقتكم باعادة ما قيل فان الملازم بايتس وصف الغرفة والدكتور دافدصن وصف حالة المقتولة وكان لها حين رأياها نحو عشر ساعات ميتة وقد ذبحها غيرها على الاسلوب الذي ذكرهُ الدكتور دافدصن ويظهر ان المرأة لم تستيقظ مطلقاً بل انتقلت من النوم الى الموت رأساً

فقال القاضي ولكنها قبضت على الشعر قبل موتها

فقال ثرنديك انها لم تقبض على الشعر ولكنهُ وضع في يدها وضعاً وجب القائل لهذا الشعر ووضعهُ في كفها دليل على انهُ كان متعمداً قتلها ومصمماً عليهِ ودليل ايضاً على انهُ يعرف البيت ويعرف اين يجد هذا الشعر فيهِ

ولما قال ذلك احدق اليهِ القاضي والمحلَّفون والحضور كلهم مدهوشين وساد السكوت

عليهم جميعاً الا مسز غلدستين فانها ضحكت ضحكاً هستيريًّا . ثم قال لهُ القاضي كيف عرفت ان المقتولة لم تنزع الشعر من رأس القاتلة

فقال الامر سهل وادلتهُ ثلاثة وكل منها كاف لصحة ما اقول . فاولاً حالة يد المقتولة فان الذي يقبض يدهُ حال موته تبقى يدهُ مقبوضة وتيبس كذلك وهذا ما يسمى باليبس الموقي وهو يدوم مدة ثم يزول وقد كانت يد المقتولة يابسة ولكنها لم تكن قابضة على الشعر بل كانت مطبوقة قليلاً وكان الشعر موضوعاً فيها وضعاً فسهل نزعهُ منها ولولا ذلك لتعذَّر نزعهُ فالشعر وضع فيها بعد الموت

وثانياً اذا نزعنا خصلة شعر نزعاً فاصول الشعر تكون كلها في الطرف الواحد ورؤوسهُ في الطرف الآخر اما هذه الخصلة فبعض اصولها في الطرف الواحد وبعضها في الطرف الآخر من غير انتظام فلا يمكن ان تكون قد نزعت نزعاً بشدها من الرأس معاً

وثالثاً وهو الدليل الاهم والاقطع ان هذا الشعر لم ينزع من الراس نزعاً بالمتف بل سقط منهُ سقوطاً من نفسهِ وقت المشط فان في اصل كل شعرة بصلة وغلافاً فاذا نمت شعرة جديدة تحتها دفعتها من امامها فتقع او يسهل نزعها لاقل سبب ولا يقع معها من اصلها سوى غلاف اتصالها بالبصلة واما اذا قلعت قلعاً خرجت البصلة وغلاف اصلها معها . ويمكن ايضاح ذلك بسهولة لكم اذا طلبتم من المتهمة ان تنزع شعرة من شعرها وتريكم اياها وقابلتموها بهذا الشعر

ولم تحتج مريم الى اشارة من احد بل نزعت خصلة كبيرة من شعرها واعطتها للدكتور ثرنديك فوضعها في ماسك يمسكها ووضع في ماسك آخر بعض الشعر الذي وجد في يد المقتولة واعطاها للقاضي فرآها واراها للحلفين وهو يقول لاشبهة في ذلك لاشبهة فان الفرق بينهما واضح كالشمس . وصمت الحلفون ولكن عضلات وجوههم كانت تتكلم عنهم

ثم قال ثرنديك من اين جاء القاتل بهذا الشعر لقد كنت اظن في اول الامر انهُ وجدهُ في مشط المتهمة ولكن الملازم وجد في غرفتها كيساً فيهِ مشاطة شعرها فالقاتل اخذ الشعر من هذا الكيس

فقال القاضي ارى يا دكتور ان مسألة الشعر قد انجلت لنا تماماً فلا داعي للاطالة فيها فهل رأيت شيئاً يدل على من هو القاتل

فاجاب نعم رأيت اشياء تدل على من هو القاتل (ثم التفت الى مدير البوليس السري فنهض ومضى الى الباب خلسة وعاد واضعاً شيئاً في جيبهِ) وبقي ثرنديك يتكلم فقال لما دخلت دار

البيت رأيت خلف الباب رنًّا عليهِ شمعدانان من الخزف الصيني في كل منهما شمعة وفي صحن احدها شمعة قصيرة طولها نحو عقدة والى جانب مسحة الرجل التي داخل الباب شمع ناقط على الارض واثار اقدام ملطخة بالوحل وعلى السلم آثار اقدام ملطخة بالوحل ايضاً ولقط شمع وخيط كبريت محروق في الدار واخر امام باب الغرفة . ونقطة من نقط الشمع التي على السلم مدوسة قبل ان تجمد وعليها اثر جالوش ورايت قفل باب الدار مزيتاً وكذلك قفل باب الغرفة وعلى مفتاحهِ علامة تدل على انهُ فتح من الخارج بذلك اعتقد بقي اثرهُ في المفتاح وعلى وسادة المتنولة رمل يشبه الرمل الفضي ولكنهُ ليس منهُ وساعود اليهِ . وعلى المائدة التي بجانب السرير شمعدان لا شمع فيهِ ولكن موضع الشمعة فيهِ نوهة معدنية لها غاشية السنة لتلك الشمعة وفي اسفل النوهة نتيلة شمعة قديمة محروقة ولكن في اعلى النوهة قليل من الشمع لاصق بها . فلو تركت الشمعة في الشمعدان حتى احترقت كلها ولم توضع فيهِ شمعة غيرها بعدها لذاب هذا الشمع القليل ولم يبق حيث هو فوجوده يدل على ان شمعة اخرى وضعت هناك ثم نزعت وبقي اثرها . ولما رأيت ذلك خطر ببالي حالاً الشمعة القصيرة التي رايتها في صحن الشمعدان عند باب الدار فنزلت واخذتها وفحصتها فوجدت فيها آثار الاسنة الثانية التي في شمعدان غرفة النوم . والشمعدانان اللذان عند باب الدار لا السنة فيهما ولذلك فقد اخذ واحد هذه الشمعة من اسفل واطفأها وصعد بها واشعل عود كبريت في الدار واخر على السلم واشعلها بهِ ودخل الغرفة ووضعها في الشمعدان الذي وجدهُ على المائدة وقد حملها بيدهِ اليمنى وهي ساخنة لان اثر ابهامهِ وسبابتهِ عليها واضحة وقد طبعت هذا الاثر في قوالب السمنت التي تروننا هنا (قال ذلك ووضع امام المجلس قطعة الشمعة والطوابع التي طبعها عنها)

فقال لهُ القاضي وماذا تستنتج من ذلك كلهِ

فقال استنتج ان رجلا دخل البيت قبل الحادثة وزيَّت القفلين واخذ خصلة الشعر ثم دخل البيت ليلاً قبل الساعة الثانية وقلت قبل الساعة الثانية لان السماء امطرت لبضع من الساعة واحدة ونصف الى واحدة وثلاثة ارباع فسرى بعد المطر كما يظهر من آثار الوحل واخذ الشمعة من اسفل واطفأها وصعد بها واشعل الكبريت ليرى طريقهُ وفتح الباب بذلك اعتقد ودخل ووضع الشمعة في الشمعدان وزيج المرآة وغسل يديهِ وسكبهُ ثم نزل بالشمعة وطرحها في صحن الشمعدان الذي عند الباب

اما الرمل فقد اخذت بعضهُ وفحصتهُ فوجدتهُ من رمل بحر الروم من السواحل الشرقية لان فيهِ كسر نوع من الصدف لا يكون الاَّ هناك

فقال القاضي هذا من الغرائب وكيف وصل رمل بحر الروم الى غرفة في لندن

فقال ثرنديك الامر بسيط ان الاسفنج الذي يقلع من سواحل سورية يكون فيه كثير من هذا الرمل . والمخازن التي تجلب هذا الاسفنج وتنظفه وتتاجر به يكثر الرمل فيها حتى يفوض الانسان فيه الى كواحله والعمال الذين يفرغون الاسفنج وينفضونه وينظفونه ويجزمونه تتطاير ثيابهم رملاً فاذا كان القاتل واحداً منهم وانحنى فوق المقتولة فلا بد من ان يقع من ثيابه وجيوبه شيء من هذا الرمل . ولما تحققت ذلك كتبت الى المستر غلدستين اسأله عن اسماء الذين يترددون على بيته وعمل كل منهم فارسل الي كشفاً بذلك ورأيت ان بينهم رجلاً يشتغل بفتح الاسفنج وحزمه وعلمت ان الاسفنج الجديد وصل الى لندن منذ ايام قليلة فصارت المسألة الآن هل هذا الرجل هو الرجل الذي ترك آثار انامله على الشمعة فصنعت صورتين فوتوغرافيتين من كتاب بالعبراني والروسي وجعلت هذا الرجل يمسكهما ثم ذررت عليهما ذروراً يظهر آثار الانامل عليهما وها الصورتان وآثار انامله عليهما وها آثار انامله على الشمعة والآثار واحدة كما ترون

ولم يكد ثرنديك يسلم الصورتين والطوابع المطبوعة عن الشمعة للقاضي حتى قام بتروفسكي ومشى نحو الباب خلسة وأراد فتحه فلم ينفتح فعالجه فلم ينفتح وادرك حينئذٍ انه قد اقفل فقبض عليه وحاول خطفه وجعل يهزه كالمجنون وقد جحظت عيناه وتوتر وريداه . ولما رأى ان الباب لا ينفتح استل سكيناً من نطاقه وهجم على ثرنديك ولكن مدير البوليس السري كان مستعداً له فقبض عليه والسكين في يده

فقال له ثرنديك اعط هذه السكين للقاضي ثم قال للقاضي انظر فيها جيداً واخبرني هل ترى عند رأسها ثلماً صغيراً مثل الشكل

فتفحصها القاضي وقال نعم فيها ثلم صغير نحو رأيتها قبلاً

فقال كلا ولكن الأولى ان اتمم كلامي ولا حاجة بي الآن أن اقول لكم ان آثار الاصابع هي آثار بتروفسكي هذا . وحسب امر المحكمة مضيت وشاهدت تشريح الجثة وقد وصف لكم الدكتور دافدسن الجرح فلا داعي لاعادة وصفه ولكنه لم ينتبه الى شيء فيه انتبهت له انا وهو انني وجدت في عظم الرقبة قطعة صغيرة من الفولاذ فاستخرجتها وها هي وارجح انها من هذه السكين فانظرها يا حضرة القاضي

ثم سل الغلاف الذي فيه قطعة الحديد للقاضي فوضع القاضي السكين على ورقة وادنى قطعة الفولاذ من الثلم الذي فيها وقال اصبت فانها انطبقت على الثلم تماماً

ولما قال ذلك وقع بتروفسكي على الارض لا حراك به

ولما صحت انا وفرنديك من الحكمة قال لي ان هذه المسألة تعلمنا امراً ذا شأن فقلت وما هو قال اذا اكتشف قتيل في مكان وجب ان يُحفظ كل ما في ذلك المكان على حاله لان لكل شيء دلالة قد يكون لها الشأن الاكبر في اكتشاف المجرم ويجب ان لا يدخل احد من رجال البوليس الاَّ بعد ما يدخل رجل خبير بالتحقيق اتم الخبرة . فلو لم يتفق اننا وصلنا قبل غيرنا لما وجدنا الادلة التي هدتنا الى معرفة الجاني

سياحة الياس الموصلي

عثرت في مكتبة نظارة الهند على كتاب عربي كتب سنة ١٦٨١ يتضمن وصف سياحة لاحد كهنة العراق في اوربا واميركا . والكتاب مكتوب بالخط السرياني واسم المؤلف الخوري الياس بن حنا الموصلي الكلداني . ولغة الكتاب عامية الاَّ المقدمة التي يظهر ان المؤلف سرقها من كتاب آخر لانهُ لا مناسبة بينها وبين لغة الكتاب . وقد وصف رحلتهُ من بغداد الى باريس الى مدريد ثم الى البيروه والمكسيك ومنها الى اسبانيا حيث كتب كتابهُ

وكلامهُ عن اوربا وصفي اما عن اميركا فاكثرهُ تاريخي مستنداً الى مؤرخي الاسبانيين وهو واصفاً خيرٌ منهُ مؤرخاً لانهُ في الوصف ينقل للقارىء آراءهُ وما يشعر بهِ عما رآهُ واما في التاريخ فهو ناقل غير مشبع حاشياً كلامهُ بالخرافات

١ فهرست الكتاب

قال المؤلف ما خلاصتهُ : اولاً عن اخبار سفرتي في خروجي من بغداد وسياحتي في بلاد الافرنج المتصلة حتى بلاد هند البيروه . وثانياً في اخبار خروجي من سلطنة البيروه وانحداري الى نيكيديبا (المكسيك) ومنها لرجوعي لاسبانيا . ثم سبعة عشر فصلاً عن اكتشاف البيروه وعن ملوك الهنود . الفصل الاول عن الصين والثاني عن اكتشاف هند الغرب والثالث عن فتح البيروه والسادس عن هزيمة اهل بيروه

وبقية الفصول على هذا الشكل وبعضها مخصص للتبشير ومملوء بقصص عن ظهور العذراء ومعجزاتها

٢ حكاية السياحة

بعد ان شكر الله ومدحهُ في ما يزيد عن الصفحتين على عادة كتّاب العرب حمل على